رحلة ابن بطوطة[1]

وما تنطوي عليه من نبات وشجر

محمود مصطفى الدمياطي

— ١ —

— ذكر ابن بطوطة في كتابه المشهور بتحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار بعض نباتات وصفها كما شاهدها في البلدان التي زارها في رحلته الطويلة وعلى أن أغلب أسمائها غير معروف عند الكثير منا ويتعذر فهمه لهذا عُنيت بالتعليق على بعض ما أورده رحالة القرن الثامن الهجري من قيل الاشادة بذكراه في العصر الحاضر خدمة لعلم مراعاً تحرير أسماء تلك النباتات وما يقابلها في بعض اللغات الأجنبية وذكر أوصافها وخواصها بما يتفق وكتب النبات الحديثة يدلك في مقالات سأنشرها تباعاً . فقد قال عن أشجار بلاد الهند وفواكهها ما نصه : —

١ — «منها النَّشْتَة[2] وهي شجرة تشبه أشجار التاريخ الا أنها أعظم اجراماً وأكثر أوراقاً وظلها أكثر الظلال غير أنه ثقيل فمن نام تحته وعلك ونمره على قدر الاحاص تكون فاكهة أخضر قبل نضجه أحدوا ما سقط منه وجعلوا عليه ملح وصبروه كما يصبر الليمون[3] ويجعلون بالادم وكذلك يصيرون ايضاً الزنجبيل الأخضر ويتخذ الفلفل وبأكلون به مع الطعام يأخذون مائة كل لقمة بشيء من هذه المطرحات فاذا نضجت النبة في اوان جاريف اخذت حبتها فأكلوها كالتفاح فمنهم يقضمها باسنانه ومنهم يعصرها مصاً وهي حلوة يمازج حلاوتها

---

(١) هو الامام المؤرخ الرحالة شمس الدين ابو عبد الله محمد بن علي اللواتي الطنجي ولد في (٧٠٣هـ - ١٣٠٤م) (٢) أو النشا بمعرب (النشاستة) بالفارسية هي المروحة في مصر بالنجد كما في لاروسية ولغة بعض نيجيريا Banga

(٣) هو المعروف عندنا بالليمون الحلو وشجره يطلق عليه الليمون الحلو Limus Medica var. limetta وبالانجليزية (sweet lime) وبالفرنسوية (limonier doux) و citron doux

يسير حموضة ولها نواة كبيرة يزرعونها فتنبت منها الأشجار كما تزرع نوى الخوخ وغيرها »

وأقول إن ما ذكره في بيانه صحيح لا غبار عليه واسم الشجرة بالسنسكريتية (mangutee) وبالانجليزية (mango tree) وبالفرنسوية (manguier) وفصيلتها البلاذرية (anacardinceae) وقد سبق لي أن وصفتها في مقالات النباتات التي نشرتها في مقالات بالمقتطف الأغر فليرجع اليها من يشاء . وقال : —

٢ — « ومنها الشكي[1] والبركي وهي اشجار عادية أوراقها كأوراق الجوز وثمرها يخرج من أصل الشجرة فما اتصل منه بالأرض فهو البركي وحلاوته أشد وبعضه أطيب وما كان فوق ذلك فهو الشكي وثمره يشبه القرع الكبار وجلوده تشبه جلود البقر فاذا أصفرّ في أوائل الخريف قطعوه وشدوه فيكون في داخل كل حبة اللبأة والفاكهة فما بين ذلك من حبات تشبه الخيار بين كل حبة وحبة مطاق أصفر اللون ولكل حبة نواة تشبه الفول الكبير واذا شويت تلك النواة أو طبخت يكون طعمها كطعم الفول اذ ليس يوجد مثالث ويدخرون هذه النوى في التراب الأحمر فتبقى الى سنة اخرى وهذا الشكي والبركي من خير وكد بلاد الطير »

وعندي إن هذا الوصف على دقته لا غبار عليه كما يتضح مما يأتي : فالشجرة تسمى بالسنسكريتية ([illegible]) وبالانجليزية ([illegible]) وبالفرنسوية (manguier) وفصيلتها التوتية ([illegible]) مسقط رأسها الهند وجزائر الهند الشرقية وتبلغ ثلاثين قدماً في الارتفاع وهي ذات عصيرة لبنية أو اللبن كثيرة الثمر في الواحدة منها اربع بوصات الى ست فما يوجد منها على النوع المشهور شكله بين مستدير تقريباً وحاله كاملة وما يوجد على النوع الصغير شكله بيضي مستطيل كثيراً مستدير أما أوراق الأشجار الصغيرة فتواجه مبدأ صيغة ذات فصين أو ثلاثة والثمرة توجد عادة عشرة بوصة أو يزيد وزنها ثلاثون رطلاً أو اربعون وتشبه ثمرة شجرة الجبر[2] لكنها أخشن ولا يأكلها عادة الا أهالي الملابار والهندوس يتخذون منها طعامهم الرئيسي . وقد ذكر : —

---

(١) معرب (chakka) بتقدم الجيم على الكاف وتسمى بالسنسكريتية ([illegible]) وبالانجليزية (jack tree) وبالفرنسوية (jacquier) وفصيلتها التوتية ([illegible]) مسقط رأسها الهند وجزائر الهند الشرقية وتبلغ ثلاثين قدماً في الارتفاع وهي ذات عصيرة لبنية أو اللبن كثيرة الثمر في الواحدة منها اربع بوصات الى ست فما يوجد منها على النوع المشهور شكله بين مستدير تقريباً وحاله كاملة وما يوجد على النوع الصغير شكله بيضي مستطيل كثيراً مستدير أما أوراق الأشجار الصغيرة فتواجه مبدأ صيغة ذات فصين أو ثلاثة والثمرة توجد عادة عشرة بوصات أو يزيد وزنها ثلاثون رطلاً أو اربعون وتشبه ثمرة شجرة الجبر[2] لكنها أخشن ولا يأكلها عادة الا أهالي الملابار والهندوس يتخذون منها طعامهم الرئيسي . وقد ذكر : —

(١) معرب (chakka) بتقدم الجيم على الكاف وتسمى بالسنسكريتية ([illegible]) وبالانجليزية (jack tree) وبالفرنسوية (jacquier) وفصيلتها التوتية ([illegible]) مسقط رأسها الهند وجزائر الهند الشرقية وتبلغ ثلاثين قدماً في الارتفاع وهي ذات عصيرة لبنية أو اللبن كثيرة الثمر في الواحدة منها اربع بوصات الى ست فما يوجد منها على النوع المشهور شكله بين مستدير تقريباً وحاله كاملة وما يوجد على النوع الصغير شكله بيضي مستطيل كثيراً مستدير أما أوراق الأشجار الصغيرة فتواجه مبدأ صيغة ذات فصين أو ثلاثة والثمرة توجد عادة عشرة بوصات أو يزيد وزنها ثلاثون رطلاً أو اربعون وتشبه ثمرة شجرة الجبر[2] لكنها أخشن ولا يأكلها عادة الا أهالي الملابار والهندوس يتخذون منها طعامهم الرئيسي . وقد ذكر : —

(٢) معرب (jack) بتقدم الجيم على الكاف وتسمى بالسنسكريتية ([illegible]) وبالانجليزية (jack tree) وبالفرنسوية (jacquier) وفصيلتها التوتية ([illegible]) مسقط رأسها الهند وجزائر الهند الشرقية وتبلغ ثلاثين قدماً في الارتفاع وهي ذات عصيرة لبنية أو اللبن كثيرة الثمر في الواحدة منها اربع بوصات الى ست فما يوجد منها على النوع المشهور شكله بين مستدير تقريباً وحاله كاملة وما يوجد على النوع الصغير شكله بيضي مستطيل كثيراً مستدير أما أوراق الأشجار الصغيرة فتواجه مبدأ صيغة ذات فصين أو ثلاثة والثمرة توجد عادة عشرة بوصات أو يزيد وزنها ثلاثون رطلاً أو اربعون وتشبه ثمرة شجرة الجبر[2] لكنها أخشن ولا يأكلها عادة الا أهالي الملابار والهندوس يتخذون منها طعامهم الرئيسي . وقد ذكر : —

٣ — « ومنها التندو وهو شجر الأبنوس وحباته في قدر حبات الخشخاش ولونها شديد الحلاوة » وأقول إن تندو معرب (tindoo) بالهندية وسبق لي وصف شجر الأبنوس المذكور في مفردات النبات والاشارة الى أن ثماره تؤكل فليراجع . وقال : —

٤ — « ومنها الجمون [1] وأشجاره عادية ويشبه ثمرة الزيتون وهو أسود اللون ونواه واحدة كالزيتون » وأقول ان هذا الوصف صحيح تشجرته مستوطنة في الهند وجزائر الهند الشرقية تغرس بقرب القرى لثمارها واسمها باللسان الثاني (Eugenia Jambolana, Lam.) وبالانجليزية (black plum و jambolan و jaman و Java plum) وبالفرنسوية (arbre aux Jambolones) وفصيلتها الآسية (Myrtacée) الورقة منها لحيمة لامعة مستطيلة عريضة لا سيما من ثمنها طولها بين بوصتين ونصف بوصة الى خمس بوصات وعرضها بين بوصة وثلاثة أرباع البوصة الى أربع بوصات . وثمرتها كالزيتونة السوداء أو في حجم بيضة الحمام تؤكل على الرغم من حموضة مذاقها وعديم جودتها . وقال : —

٥ — « ومنها التارنج الحلو وهو عندهم كثير وأما التارنج الحامض فعزيز الوجود وعنده منه ثلاث يكون بين الحلو والحامض وثمره على قدر الليم وهو طيب جداً وكنت يعجبني أكله » وأقول إن التارنج الحلو هو المعروف عندنا بالبرتقال واسم شجرته باللسان الثاني (Citrus Aurantium, L.) وبالانجليزية (orange tree) وبالفرنسوية (oranger) واسم شجرة التارنج الحامض باللسان الثاني (Citrus Aurantium var. amara) وبالانجليزية (bigarade و bitter orange) وبالفرنسوية (bigaradier) وأما الصنف الثالث الذي لا يسمه ويكون بين الحلو والحامض فالراجح انه المعروف عندنا بالليمون الحلو واسم شجرته باللسان الثاني (Citrus Decumana, Murr) وبالانجليزية ([illegible]) [2] وبالفرنسوية (pamplemousse) [3] . وقال : —

٦ — « ومنها التمر [4] وأشجاره عادية وأوراقه كأوراق الجوز إلا أن فيها حمرة

---

(١) أو الجون (jamun) اسمه بالهندية (٢) باسم الضابط الذي أدخله في جزائر الهند الغربية
(٣) أيضاً من اسمه (poompelmoes) بجزائر الملايو (٤) معرب (Makta) بالهندية

وصفرة وثمره مثل الاجاص الصغير شديد الحلاوة وفي أعلى كل حبة منه حبة صغيرة بمقدار حبة العنب مجوفة وطعمها كطعم العنب الا أن الاكثار من أكلها يحدث في الرأس صداعاً ومن العجب ان هذه الحبوب اذا يبست في الشمس كان مطعمها كطعم التين وكنت آكلها عوضاً من التين اذ لا يوجد ببلاد الهند وهم يسمون هذه الحبة الأنكور وتشبيه بلساننا العنب والعنب بأرض الهند عزيز جداً ولا يكون بها الا في مواضع مخصوصة دهلي وبلاد أخر ويثمر مرتين في السنة ونوى هذا الثمر يصنعون منه الزيت ويستصبحون به » وأقول إن ما ذكره صحيح وقابلوا تسمى باللسان الثاني (Bassia latifolia Roxb.) وبالانجليزية (Illuppa) وبالفرنسوية (bassie à larges feuilles) وفصيلتها الصابوتية (Sapotacées) وهي شجرة كبيرة يبلغ ارتفاعها اربعين قدماً توجد في غابات غرب بلاد البنغال بالهند الوسطى وتزرع من أجل أزهارها وبذورها وخشبها في المقاطعات الشمالية الغربية لكثرة فوائدها فزهراتها تجفف وتستعمل في الحلويات الفقيرة وعلى الأخص القبائل المتوحشة القاطنة في غابات الهند الوسطى وهي حلوة المذاق وبسبب رائحتها القوية جداً لا يقبل عليها الا من كان متعوداً على أكلها وقد يحصل من الشجرة الممتازة على عشرين قنطاراً من الزهر أو يزيد ومنه يصنع مرقى يتخذه كثير من الهنود ويقال إنه اذا استقطر بعناية كان مذاقه شبيهاً بالويسكي الايرلندي الجيد ويحصل من اعتصار البذور على زيت منجمد مصفر أو مخضر يشبه الزبد يستصبح به ويصنع منه صابون ويستعمل من الظاهر ملياً أو محلالاً . وقال : —

٧ — « ومن فواكههم فاكهة يسمونها كسيرا يحفرون عليها الارض وهي شديدة الحلاوة تشبه القسطل » وأقول ان نباتها يسمى باللسان الثاني (Sonneratia acida Linn.) وبيئته السعدية (Palmiers) وهو حشيش ينبت في الهند على شواطئ المستنقعات وأنهار صول بلاد البنغال تقوم على ساق وهي غليظة من تحتها التي تنشأ منها الأوراق وأزهاره سفلي كبير مركب وجذره ليفي قد يضخم في بعض أجزائه فيكون درنات الواحدة منها في حجم جوزة الطيب سوداء البشرة وهذه الدرنات قابضة تمنع الاسهال والقيء وفي فصل البرد تستخرجها عامة الهنود بكميات كبيرة وتقطعها شرائح وتأكلها بيئة لمذاقها الحلو وتشويها وتعتبرها مغذية جداً ومرطبة